جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 40 / حزيران 2024

القرآنية غير المباشرة في شعر ابن وهبون المرسي

Indirect Quranic In the poetry of Ibn Wahboun Al-Mursi

بهاء عبد الحسن راضي
Bahaa Abdel Hassan Radi
أ.م.د صفاء حسين لطيف
Asst.Prof. Dr. Safaa HusseIn Latif

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: القرآنية، الشعر الأندلسي، ابن وهبون، الأندلس.
Keywords: Quranic, Andalusian poetry, Ibn Wahboun, Andalusia.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة وتحديد الاقتباس القرآني غير المباشر، الذي وظفه الشاعر ابن وهبون في معظم قصائده، وما له من دور مهم في إيصال مقصد الشاعر إلى المتلقي، ففي هذا النوع من القرآنية تظهر إمكانية الشاعر في الأخذ من القرآن الكريم بطريقة قد تكون مبهمة لدى القارئ، لكن القارئ الحصيف الذي يمتلك اطلاعاً دينياً واسعاً يمكنه استخراج ومعرفة ذلك عن طريق بعض الإيحاءات أو الإشارات في النص الأدبي وربطها مع النص القرآني.

Abstract:

This research aims to find out and Identify the indirect Quranic quotation، which was employed by the poet Ibn Wahboun in most of his poems, and his important role In delivering the poet's Intention to the recipient, In this type of Quranic show the possibility of the poet in taking from the Koran in a way that may be ambiguous to the reader, but the discreet reader who has a wide religious knowledge can extract and know it through some suggestions or references In the literary text and link them with the Quranic text .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بنعم لا عدد لها، ووفقنا لإتمام كتابة هذا البحث، إذ تناول موضوعاً شغل اهتمام الدارسين حديثاً ألا وهو (القرآنية).

أما بعد:

فإن هذا البحث يسعى الى دراسة القرآنية، ورصدها، في قصائد الشاعر الأندلسي عبد الجليل بن وهبون المرسي، حيث اتبع الباحث فيه المنهج الوصفي محللاً ما تيسر من أبيات الشاعر، معتمداً بذلك على مصدرين مهمين جُمِع فيهما كل قصائده، ألا وهما (كتاب شعراء أندلسيون، للأستاذ الدكتور محمود محمد العامودي، والشاعر وشعره؛ رسالة ماجستير للطالب سعيد أحمد محمد الغامدي).

وقد كان الهدف من وراء هذه الدراسة هو الغوص في نتاج الشاعر الأدبي ورصد طريقة توظيفه للنص القرآني في قصائده، وان موضوع القرآنية قد حصل على أهمية كبيرة عند الدارسين في الآونة الأخيرة، حيث لا يخفى على الباحثين قلة عدد الدراسات التي تناولت موضوع القرآنية، كونه مصطلحاً حديثاً ظهر على يد الدكتور مشتاق عباس معن في بحثه الموسوم (القرآنية في شعر محمد حسين آل ياسين)، وهو بذلك يكون اول من استعمل مصطلح القرآنية، لأنه وجد فيه دلالة أوفى من غيره من المصطلحات النقدية المستعملة التي من أبرزها (أثر القرآن).

الشاعر عبد الجليل بن وهبون:

هو أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي[1] الملقب بالدّمعه[2] المرسي ولم تذكر المصادر التاريخية سنة محددة لولادته، وقد تتلمذ عبد الجليل بن وهبون على يد أستاذه أبي الحجاج الأعلم الشنتمري[3] في اشبيلية عندما كان يعيش في كنف المعتمد بن عباد.

حياته:

إن لمدينة مرسية دوراً كبيراً في احتضان الشاعر ابن وهبون المرسي فقد نشأ فيها وترعرع وشبّ عوده، وتربى في احضانها، ومرسيه كما هو معروف هي واحدة من مدن الأندلس الشرقية[4]. وعندما بلغ شاعرنا واشتد عوده رحل الى مدينة اشبيلية، حيث كان ملكها يومئذٍ هو المعتمد بن عباد رجل عُرف بكياسته وحنكته في السياسة والعلم والادب، فقد وجد ابن وهبون في رحابه ما كان يبتغيه فعكف اليه وعاشَ في كنفهِ، وقضى معظم حياتهِ عنده، وإن القارئ لشعر عبدالجليل يجدُ أن معظم شعره كان مقتصراً على مديح المعتمد بن عباد، الذي عاش معظم حياته ملازماً له، ولم يرحل الى ملكٍ سواه[5].

اخلاقه:

أنّ شاعرنا المرسي كان انساناً وفياً لصاحبهِ حسب ما أكدته الكتب التي تناولت حياته، فقد تروي لنا المصادر التاريخية قصة وفائه وإخلاصه لصاحبه الشاعر محمد بن عمار الذي كان قد رثاه بإحدى قصائده، رغم أن قاتل ابن عمار كان هو وليّ نعمت الشاعر (المعتمد بن عباد). حيث قال في رثاءه[6]:

عجبــاً لمــن أبكيــه مــلءَ مــدامعي وأقــولُ: لا شــلّتْ يمــينُ القاتــلِ

وهذا البيت اختلف في نقله، والقول الآخر هو:

مَــن ذا الــذي ابكيــه مِــلءَ مــدامعي وأقــولُ: لا شَــلّت يمــينُ القاتــلِ[7]

وفي هذا البيت يتضح دعاء ابن وهبون على المعتمد بن عباد بقوله: ((لا شُلَّت يمين القاتلِ)) وهو دليلٌ واضح على شدة تأثره بمقتل صاحبه ابن عمار، ومدى الوفاء له بعد مقتله.

ما قيل فيه:

قال ابن بسّام واصفاً ابن وهبون:

((شمسُ الزمان وبدره، وسِرُ الاحسانِ وصبرَهُ، ومستودعُ البيانِ ومستقره، آخرُ من أفزعَ في وقتنا فنون المقال في قوالب السحر الجلال، وقيّد الالباب بأرقَّ منْ مِلْح العتاب، وأورقَ من غفلات الشباب، وكورة تدمير أُفقه الذي منه طلع، وعارضه الذي فيه لمع)) [8].

ما قيلَ في شعره:

تنقل لنا المصادرُ التاريخية أن القدماء اعترفوا بشاعرية ابن وهبون وشهدوا له بفحولته.

فقال ابن دحية: ((هو من شعراء جزيرة الاندلس وفحولها، والبريء من مطروق الاشعار ومنحولها، ذو الآداب والفنون))[9].

ووصفه ابن خاقان: ((أحد الفحول... تفتحت كمائم رويته عن زهر المعاني وأبدت قصائده غرض المداري لها المعاني، فما يبينُ في معناه انحلال معاقد، ولا تلينُ قناته لغمز ناقد، مع أدب منساب، تفرع من دوحتى رؤية واكتساب))[10].

أما الضبّي فقال: ((هو أحد الشعراء الفحول يروي من المطروق والمنحول))[11].
وقال المراكشي: ((حَسِنُ الشعر لطيف المأخذ حَسِنُ التوصل الى دقيق المعاني))[12].
وأخبر عنه العماد الاصبهاني: ((ذكره مؤلف قلائد العقبان في الشعراء المجيدين والفضلاء المعتمدين))[13].
وهذا هو ابن وهبون لدى القدماء فقد اشاروا بشاعريته واعترفوا بفحولته وبرأوه من مطروق الاشعار ومنحولها فشعره لطيف المأخذ حسن التواصل الى دقيق المعاني، وأما المحدثون فلم يتعرضوا له بالدراسة.
جاء في رثائية ابن وهبون لأستاذه أبي الحجاج: (من الكامل)

وأظلـهُ التنزيلُ يتلو نفســـهُ بتلاوةٍ لـم يؤتها القـــراء[14]

فقد استعمل الألفاظ السامية ذات الدلالة القرآنية الواضحة والمستمدة من قوله تعالى: ((كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ))[15] حيث تشير الآية الكريمة الى أن الله عز وجل أرسل للناس رسولاً يتلو عليهم الآيات المبينة، ويطهرهم من الشرك بالله، ويعلمهم الكتاب والسُنة، ويقص عليهم قصص الأمم التي سبقتهم[16].

فشاعرنا في هذا البيت يذكر محاسن الفقيد، وفاجعة الأمة فيه، والقول بأنه عندما جيء به الى القبر ونُزِل جثمانه تلا القرآن الكريم نفسه بنفسه من أجل روح الفقيد وكانت تلك التلاوة من أعذب وأفضل وأكمل التلاوات الأخرى التي جاء بها القراء على مدى العصور، لأنها كانت بمثابة تشريف لهذا العالم الجليل، وهي من المبالغات الشعرية الحسنة، فيبدو ان الشاعر خالف النص القرآني من حيث المعنى ولكنه استند إليه في التوجيه اللفظي كلفظة (يتلو).

ويتابع الشاعر في قصيدته تصوير حال الفقيد وكيف مَنَّ الله عليه بالنعيم في قبره فيقول:

وهناك لو كشف الغطاء لناظـــرٍ حَوَل القليب حديقةٌ غـــــناءُ[17]

يبدو أن الشاعر يريد أن يقول أن الله عز وجل قيد بصر الإنسان فلا يستطيع رؤية كل شيء إلا إذا شاء الله له ذلك، مستمدا هذه الحقيقة من قوله تعالى: ((لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ))[18]، فقد استطاع الشاعر أنْ يجعل العلاقة بين الآية المباركة والبيت الشعري متوافقة من حيث المعنى والموضوع، وفي هذا يقول الزمخشري: إن بصر الانسان في الدنيا قد " جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا، فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها، فيبصر ما لم يبصره من الحق، ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته: حديدا لتيقظه[19]" فالشاعر يتحدث عن القبر الذي وضع فيه ابي الحجاج وشبهه بالبئر التي تحيط به الحدائق والورود، حتى قال أنها حديقة غناء، أي شبه القبر بالحديقة الممتلئة بأنواع الزهور وكأنها واحة من واحات الجنة.

ونجده في قصائده التي يصف فيها الخمر لا يتوانى أيضاً عن استدعاء المفردات القرآنية ومزجها في مقصده ومبتغاه فهو يقول:

ومشمولة في الكأس تحسب أنها سماء عقيقٍ زُينت بكواكـــبِ

بنت كعبة اللذات في حرم الصبا فحج إليها اللهو من كل جانب[20]

حيث يستدعي الشاعر عددا من الآيات القرآنية أولها حين يشبه الخمر كالسماء المزينة بالكواكب وهو ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ))[21]، فالشاعر يشبه كأس الخمر لصفائها ونقائها وتلألؤها بأنها كالسماء التي زينها الله بالكواكب، وهي ليست أي سماء بل إنها سماء من عقيق، والعقيق من الاحجار الكريمة ذات اللون الأحمر الداكن وهو لون الخمرة.

فقد أطلق الشاعر على كأس الخمر بأنه كعبة يحج إليها اللهو من كل جانب، وهو يستدعي قوله تعالى: ((وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ))[22]، فالشاعر يشبه بين اقبال اللهو واللاهين إلى كأس الخمر يترعون منها بإقبال الناس على الحج يأتون إلى تلبية نداء الله من كل فج عميق ويطوفون في بيت الله من كل جانب يؤدون مناسكهم، كذلك أصحاب الخمر إذ هم يطوفون بها ويؤدون مناسك اللهو فيها أينما دارت يدورون معها، ومن كل ما تقدم ذكره يتبين أن الشاعر وافق بين النص القرآني ونصه الأدبي عن طريق المعنى، ولكن لم يوفق الشاعر في توظيفه لهذا النص.

حيث أذن بصلحه وصلاحه، وكان اقتباسه من قوله تعالى: ((الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهدِ اللهِ وَلَا يَنقُضُونَ المِيثَاقَ))[23]، فقد نجح الشاعر في توظيفهِ للنصوص القرآنية في قصائدهِ، ففي هذا البيت نجده يربط بين الآية الكريمة ونصه الأدبي من خلال تقارب المعنى والموضوع.

وقال ايضاً:

مستصحبا اعماله متأنسا بزواهر هي والنجوم ســواء[24]

إن الإنسان إذا مات ترك كل ما في الدنيا لأهل الدنيا وأخذ ما عمله من عمل سواء أكان صالحا أم طالحا معه الى قبره، وهو معنى قوله تعالى ((يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ))[25]، حيث استطاع الشاعر من جعل العلاقة بين النصين القرآني والأدبي متوافقة عن طريق المعنى والموضوع، أي إن اعمال الإنسان هي ما تعرض له يوم القيامة وقد ذكر الطبري: "يومئذ يصدر الناس أشتاتا متفرقين، عن اليمين وعن الشمال، ليروا أعمالهم، فيرى المحسن في الدنيا، المطيع لله عمله وما أعد الله له يومئذ من الكرامة، على طاعته إياه كانت في الدنيا، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله وما أعد الله له من الهوان والخزي في جهنم على معصيته إياه كانت

في الدنيا، وكفره به"[26] والشاعر في رثائيتهِ يصف حال الفقيد بأنه مستأنس بأعماله التي تشبه النجوم الزواهر، فهو رجل من الصالحين في الدنيا على حد رأي الشاعر.

ويقول أيضاً:

يا زائريه تكحـــلوا بصعيــده كحل البصائر تلكم البوغـــاء[27]

في هذا البيت يستدعي الشاعر قوله تعالى: ((فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا))[28]، وهو بذلك يريد أن يقول بأن التراب الذي دفن فيه ذلك الفقيد لما له من كرامة، صالح لأن يتيمم به الإنسان ويكتحل به ليزين عينيه من ذلك التراب النقي والطاهر، فالتوافق بين النصين يبدو ظاهراً من خلال الموضوع فكلاهما يتحدث عن التراب النقي الذي يمكن للإنسان ان يتطهر به

ويقول في مدح المعتمد أيضاً:

لقد رقت حتى قيل إنك رحمة وإن أكف الضارعين قلوب[29]

إن الشاعر يوظف النص القرآني بما يتلاءم مع قصده ورغبته، مقتبساً في بعض الأحيان من أكثر من نص قرآني، بهدف منح النص الأدبي قوة تمكنه من الوصول إلى ذهن المتلقي والتأثير فيه، فقد استعمل قوله تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))[30]، إذ جعل رحمة الله هي نفس الممدوح، والأكف الضارعة هي قلوب محبيه وعارفيه، ومن جانب آخر نجده قد وظف قوله تعالى: ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين))[31]، فهذه الآية الكريمة التي نزلت بحق نبي الرحمة محمد (ص) وكيف كان رحمة للعالمين، حيث شبه الشاعر ممدوحه المعتمد ووصفه بالرحمة للناس فلم يظلم في ظله أحد، محاولاً المزج بين النصين من خلال المعنى والموضوع بطريقة عكست ثقافته الدينية والأدبية.

ويقول أيضاً في مدح المعتمد: (من الطويل)

ويهنيك عيـد للصيام ذخرتـه كفيـل بـأن الله عنه مثيـــب[32]

يستعمل الشاعر في هذا البيت مفردات قرآنية وإسلامية ذات دلالة واضحة وجلية، كلفظة الصيام، العيد، مقتبساً ذلك من قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[33]، فبعد الصيام الذي كتب على المسلمين لابد من وجود العيد، فالشاعر يهنئ ممدوحه ويخبره بأن الله قد ذخر له العيد ليثيبه على صنيعه وجميل اعماله، فقد توافق النصين من خلال تقارب الموضوع.

ويقول ابن وهبون أيضاً:

دنا العيد لو تدنو لنا كعبة المنى وركن المعالي من ذؤابة يعرب

فيا أسفا للشعر ترمى جماره ويا بُعد ما بيني وبين المُحصب[34]

يستدعي ابن وهبون شعائر الحج بشكل رمزي في طيات قصيدته، فيتمنى دنو "كعبة" الأمنيات، وركن المعالي، إذ يربط بين مقام ابراهيم والركن اليماني في قوله تعالى ((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ))[35]، فقد خالف الشاعر النص القرآني من حيث المعنى والموضوع والبناء لكنه قد أفاد من توجيهه بصورة غير مباشرة، ويتابع في البيت الثاني ذكر رمي الجمرات بمنى، التي هي من أهم شعائر الحج، إلا إنها لم تذكر في القرآن الكريم كونها معروفة، فشاعرنا يتمنى في قصيدته تقرب الأماني كما يتقرب المؤمن الى بيت الله، وطوافه فيها كما يطوف المؤمن بين الركن والمقام، فهو يتأسف على رمي جمرات الشعر أشد الأسف.

ويقول أيضاً:

ومن يتخذ غير الحسام مخالبا فمـــا هو إلا وارد بســراب[36]

وفي هذا البيت يوظف قوله تعالى ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ))[37]، فإن اعمال الذي يكفر بالله كسراب يظنه الضامي ماءً يركض إليه فرحا ومستبشرا فلا يجده، هكذا حال من يترك السيف ويختار حلا آخر في وقت المعركة، ليتنصل عن مواجهة العدو في الدفاع عن الأرض والوطن، فقد جاء النص الأدبي مخالفاً للنص القرآني ولكنه استند الى بعض الألفاظ الواضحة من الآية الكريمة كلفظة (سراب).

ويقول ابن وهبون أيضاً:

استوثق الناس مما في أكفهم وربما نفثوا بخلا على العقـد[38]

هناك إيحاء إلى أن الشاعر قد وظف في هذا البيت الآية المباركة: ((وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ))[39] يقول عبد الرؤوف المناوي في تفسير هذه الآية إنها " النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق قال في الكشاف: ولا تأثير لذلك أي للسحر اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه أو مباشرة المسحور به"[40]. فيبدو أن الشاعر قد خالف بين النصين من ناحية المعنى والموضوع والبناء، ولكنه أفاد من السياق العام للنص القرآني بتوظيفه للفظة (النفث، العقد)، فنراه قد بالغ بعض الشيء في المدح ليجعل الناس كلهم بخلاء حتى إنهم ينقضون العقد والعهد، لكي لا ينفقون شيئا مما استوثقوه في أيديهم، في حين ممدوحه كريم لا ينظر إلى ما تعطيه يديه عكس هؤلاء البخلاء.

ويقول أيضاً:

يكفي المؤيد في الأعداء أن له عينا من الله لا تغفى عن الرصد [41]

ويستدعي الشاعر في هذا البيت قوله تعالى: ((إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ))[42]، فقد أجاد الشاعر في الربط بين النصين فوافق بينهما من حيث الموضوع، ليجعل لممدوحه عينا لا تكف عن رصد الأعداء ومعرفة أخبارهم وتحركاتهم، فالله أعطى ذلك الممدوح عينا من لدنه هي بالمرصاد لكل عدو يروم السوء،

ويقول أيضاً:

لم يهشموا الثغر إذ عاثت أكفهم لو يعقلون ولكن تلكم الثغـــر[43]

وفي هذا البيت ينكل الشاعر بالأعداء وكيف عاثوا فسادا في الثغور جراء تكرر هجماتهم عليها فيراهم لا يعقلون، موظفاً قوله تعالى: ((إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ))[44]، حيث خالف النص الأدبي للنص القرآني في المعنى والموضوع والبناء، ولكنه افاد بطريقة غير مباشرة من الآية الكريمة، أي إن الأعداء لفرط جهلهم وغيهم لا يدركون إن المسلمين سيدافعون عن أراضيهم ويفدونها بالأرواح، لذلك هم لا يعقلون حين يتعرضون لتلك الثغور ظنا منهم إنهم قادرين على مهاجمتها واذلال المسلمين من خلالها.

ويقول أيضاً:

في حيث للكر والأقدام مضطرب وحيث تملك ما تأتي وما تذر[45]

وفي هذا البيت الذي قاله إبن وهبون في وصف ابن عباد وعبوره البحر للاستنجاد في ابن تاشفين يستدعي قوله تعالى: ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ))[46]، فيجعل الحرب التي يخوضها المسلمون للدفاع عن مدنهم وأراضيهم وردهم الأذى عن مدنهم بأنها حرب كجهنم لا تبقي ولا تذر فتأخذ الأعداء جميعهم الى مناياهم، فالشاعر أجاد في جعل التوافق بين النصين من حيث المعنى والموضوع.

ويقول أيضاً:

اذا ورق الفولاذ هز تساقطت ثمار حتوف أو ثمار رغـاب[47]

قد استعمل الشاعر في هذا البيت الصورة القرآنية التي استوحاها من قوله تعالى:((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا))[48] فوظفها توظيفاً لا يخلو من جمال الصياغة والأسلوب، وقارب بينهما من خلال الموضوع، فتساقط الموت على الأعداء يقابله تساقط الرحمة والنجاة، فورق الفولاذ الذي تطرق له الشاعر في البيت الشعري، كان المقصود منه السيوف الحديدية الفولاذية، والفولاذ باصطلاح العرب هو الحديد النقي[49]،

فالشاعر يقول إذا هز السيف في المعركة يطيح بالقتلى من الأعداء الذين أستعار لهم هيئة سقوط الثمار، مشبهاً ذلك بهز السيدة مريم عليها السلام للشجرة، حيث تساقط عليها الرطب، كذلك تساقطت ثمار الحتوف والمنايا.

ويقول في أبيات له يصف فيها النيلوفر:

حتى إذا الليل دنا وقتـــه ومالت الشمس لحين المغيب

أطبـق جفنيـه على إلفـــه وغاص في الماء حذار الرقيب[50]

يصف لنا الشاعر في هذه الأبيات النيلوفر فعند ذهاب الشمس وغيابها وحلول ظلام الليل حيث يسود الهدوء والسكينة، تبدأ أوراق النيلوفر بالانطباق كجفن العين حيث تغوص في الماء للاختفاء والابتعاد عن الأنظار، فقد أقتبس شاعرنا قوله تعالى: ((والليل إذا عسعس))[51] حيث كان الشاعر قد خالف في نصه الأدبي النص القرآني من حيث المعنى والموضوع والبناء ولكنه أفاد من أسلوب الآية الكريمة بصورة غير مباشرة.

ويقول في مدح ابن عمار:

ولما رأيت الزور في الناس فاشياً تخيل لي أن الشباب خضابُ[52]

يبدو من هذا البيت انزعاج الشاعر من المجتمع الذي انتشر فيه قول الزور وتقلب الناس وابتعادهم عن قول الحق، إلا القليل الذين لا يشهدون او يقولون الزور ومنهم ممدوحه ابن عمار موظفاً في ذلك قوله تعالى: ((الذين لا يشهدون الزور))[53]، فقد جاء البيت الشعري مخالفاً للنص القرآني من حيث المعنى والموضوع والبناء ولكنه أفاد من توجيه وأسلوب الآية المباركة، "وسميت شهادة الزور ؛ لأنها كذب، وهي الشهادة التي تكون في مجالس الظلم، ويروج بها للباطل، ويُنصر فيها الظالم، وتُأكل فيها اموال الناس بخساً، ويقال للكذب زور؛ لأن الكذب يميل بالنفس عن قول الحق"[54]

وقال في ابن عمار ايضاً:

كما اقترنت بالبدر شمس منيرة همام يهز الجيش وهو هضاب[55]

يجد القارئ والمتلقي لأشعار ابن وهبون انها تمتاز بالوضوح والتماسك في البناء والمعنى، والدقة في طريقة التوظيف للنصوص القرآنية، ففي هذا البيت نرى شاعرنا قد ارتفع بممدوحه الى السماء حيث شبهه بالبدر في تمامه عندما يملأ نوره الدنيا، وبالشمس المضيئة التي تتجدد كل يوم لتنير الأرض، هكذا هو ابن عمار يشع نوره وخيره لكل من حوله، فضلاً عن أنه همام يهز الجيش ويدخل الرعب في قلوبهم في ساحات الحرب، مقتبساً ذلك من قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمسَ ضِيَاءً والقَمرَ نُوراً وَقَدَّرهُ مَنازِلَ لِتَعلَمُوا عَدَدَ السِنِينَ وَالحِسَابَ مَا

خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلّا بِالحَقِ يُفَصِلُ الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمُونَ))[56]، والذي يبدو مما تقدم ان البيت الشعري قد وافق النص القرآني من حيث الموضوع.

ويقول أيضاً:

فكايله صاع المودة وافيـــاً وكل مثيب بالوفاء مثـــابُ[57]

يشير ابن وهبون في هذا البيت الى ان ابن عمار لا يضيع عنده شيء، ولا يظلم عنده أحد، فهو يعطي كل ذي حق حقه، كأنه يكيل المودة والوفاء كيلاً، هكذا يشبه الشاعر ممدوحه مستعملاً وموظفاً في هذا البيت أكثر من نص قرآني كقوله تعالى: ((فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ))[58] وكقوله تعالى: ((وهل جزاءُ الاحسانَ الا الاحسان))[59]، وقوله تعالى: ((جزاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ))[60]، فجميع هذه الآيات تتحدث عن: " وعد وبسط لنفوس جميع المؤمنين أي ان الاحسان جزاء من احسن بالطاعة ان يحسن اليه بالتنعيم"[61] حيث يكون التوافق بين النصوص القرآنية والنص الأدبي من حيث الموضوع فجميعهم يتحدث عن إثابة وجزاء المحسنين.

ويقول ابن وهبون مادحاً المعتمد ايضاً:

ولا انفك للخطي حولك هزةٌ وللأعوجيات الجياد دبيـب[62]

في هذا البيت نجد شاعرنا قد وظف في مدحه للمعتمد بن عباد قوله تعالى: ((إِذْ عُرِضَ عَلَيهِ بِالعَشِيِ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ))[63]، فوافق بين النصين من خلال المعنى، فهو يقول انه لا يبالي السهام والرماح وعدد الفرسان في المعركة، الذين يمتطون الجياد، ولا تأخذه منهم الرهبة أو الخوف، لكثرة عددهم، فهو بطل صنديد شجاع في الحرب، فقد أستطاع الشاعر من أضفاء اللمسة القرآنية في هذا البيت بصورة جميلة، وأما معنى الصافنات في الآية الكريمة هي "الخيل التي ترفع إحدى يديها وتقف على ثلاث"[64]

ويقول ايضاً:

فاستقبلت قبلة الإسلام بدر عـــلا يمسي له البدر نجما غير محسوب[65]

في سياق هذا البيت يوظف الشاعر قوله تعالى: ((قَدْ نرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ))[66]، حيث يظهر التوافق والتقارب بين النصين من خلال المعنى والموضوع، فهو يشبه وجه ممدوحه الرشيد بن المعتمد بالبدر العالي، الذي لا يقاس به بدرٌ في السماء ولا نجمٌ، بل ولا تحسب أمامه، وهذا البدر المنير متمثلا بشخصية الممدوح، كأنه يتجه إلى القبلة، فتستقبله كما تستقبل البدر ليلة تمامه.

ويقول ايضاً:

والريح تهفو كأنما طلبـــت سليلهـا في يمينـك الريـــح[67]

في هذا البيت يستدعي قوله تعالى ((فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ))[68]، فيظهر ابداع الشاعر ومدى نضج قريحته الشعرية، في طريقة ملابسته للنصوص مع بعضها لإظهار فناً أدبياً بلمسة قرآنية قد لاتخفى على القارئ، حيث قارب بين النصين بالمعنى والموضوع، فهو يشبه ممدوحه بسليمان عليه السلام الذي كانت تأتمر بأمره الريح، وتذهب حيث أشار، وأنى اتجه، ولعل الشاعر في هذه المبالغة يريد التحدث عن قوة الممدوح، وهيمنته، وسيطرته، وطاعته بين انصاره حتى لتأتمر الريح بأمره وتخضع لرغباته.

ويقول ايضاً:

لكم خلقنا ولم نخلق لأنفسنا فأنما نحن تحميد وتمجيد[69]

وفي هذا البيت يوظف الشاعر بطريقة غير مباشرة قوله تعالى: ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ))[70]، فقد خالف الشاعر بين نصه الأدبي والنص القرآني من حيث المعنى والموضوع والبناء ولكنه أفاد من توجيه الآية الكريمة في صياغة قصيدته، إذ يقول إن الممدوح يمتاز بالحسنِ القويم والخلق العالي، الى درجة أن قومهُ خلقوا لأجله، فهو ولي أمرهم، ولا بد لهم من أطاعه ولاة الأمر، وكأنه يروم القول بان الملوك مصطفون من الله جل جلاله، ليكونوا في مواقعهم التي يشغلونها بما حازوا عليه من حسن التقويم، فهم خلقوا للرئاسة.

ويقول أيضاً:

لم يرسم الشيب في فودي خطته ألا ترحلت اللذات من خلـــد[71]

ففي سياق هذا البيت إيحاء لقوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا))[72]، وقد ذكر القرطبي ان: "الاشتعال انتشار شعاع النار، شبه به انتشار الشيب في الرأس، يقول: شخت وضعفت، وأضاف الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس. ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا عليه السلام، والشيب مخالطة الشعر الأبيض الأسود"[73]، فالشاعر يقارب بينه وبين زكريا عليه السلام في الشيب الذي غزاه، وخط على جوانب رأسه، فكما وهن العظم من زكريا، وهنت محبة الملذات من خلد الشاعر، فكلاهما بعد الشيب فقدا شيئا واحسا به، فالشاعر ربط بين النصين عن طريق الموضوع كون الشيب يدل على تقدم الانسان بالعمر.

ويقول أيضاً:

أحاط جودك بالدنيا فليس له إلا المحيط مثال حين يعتبر[74]

لقد وظف الشاعر في هذا البيت قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[75]، جاء سياق البيت الشعري مخالفا للنص القرآني من حيث المعنى والموضوع والبناء لكن الشاعر افاد من سياق الآية الكريمة، فالذي يفهم من لفظة الإحاطة أنها تدل على القدرة، فكما إن الله قادر على الإحاطة بالبشر والإنعام عليهم، فكذلك الممدوح الذي هو يحيط بمن حوله، ولكن ليس من وجه الإحاطة المطلقة والإلهية، إنما هي احاطة الكريم بمن جاد عليهم بالكرم.

وقال أيضاً:

الأرض دارك فاسلك حيث شئت هو المقام وإن قالوا هو السفر[76]

أما في نظم هذا البيت فقد استدعى الشاعر أكثر من نص قرآني فقد وظف قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[77] قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[78]، فهو يصف ابن عباد بأنه أينما حل فإن الأرض هي مقامه وديارة، وإن كان مسافرا فأقام في أي مكان، فإن هذا المكان أو المقام هو الوطن الجديد له، وإن الأرض نفسها هي ليست مستقرا بل هي مقام مؤقت يمر فيه الإنسان، لكنها مع هذا الشخص هي المستقر، فقد يكون الشاعر في صياغة هذا البيت قد خالف النص القرآني لكنه أفاد منه في الأسلوب والصياغة.

ويقول أيضاً:

قضى الله أني في الثناء عليكم زياد وأني في الوفاء قصير[79]

استدعى الشاعر قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أمراً فإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[80]، قد خالف البيت الشعري النص القرآني من حيث المعنى والموضوع والبناء في حين أفاد منه في الاستناد على بعض الألفاظ القرآنية، فهو يريد القول إنّ الله كتب له في محكم القضاء أن يثني عليهم ويمدحهم ويمجدهم لكنه لا يبالغ في ذلك مهما زاد في القول، وإن مقياس وفائه لوفائهم قليل وقصير، فهو يقدمهم على الجميع، ويعترف بفضلهم وجودهم عليه.

ويقول أيضا:

وقور مثل ركن الكود ثبت ومختال من الحسن اختيالا[81]

استدعى الشاعر في هذا البيت قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[82]، ولكن الشاعر خالف النص القرآني من حيث المعنى والموضوع والبناء واستند لتوجيه الآية الكريمة مستعملاً اللفظة القرآنية (مختال) التي جاءت في القرآن الكريم بأكثر من نص، وهذه اللفظة ذات دلالة قرآنية واضحة، حيث " قَالَ رسول الله (ص)، قَالَ الله تَعَالَى العظمة إِزَارِي والكبرياء رِدَائي فَمن نَازَعَنِي

فيهمَا أَلقيته فِي النَّار، رَوَاهُ مُسلم، الْمُنَازعَة: المجاذبة، وَقَالَ صلى الله عَلَيْهِ وآله وَسلم اختصمت الْجنَّة وَالنَّار فَقَالَت الْجنَّة مَالِي مَا يدخلني إِلَّا ضعفاء النَّاس وَسَقَطهمْ وَقَالَت النَّار أُوثِرت بالجبارين والمتكبرين"[83]، لكن الشاعر يوظف المفردة في الغزل فيجعل هذا الشخص يمشي متكبرا لا مقتصدا لفرط حسنه وجماله فهو يختال بما وهبه الله من حسن صورة وهيئة، يختال بها على الناس.

ويقول أيضاً:

ويبطش بطشه تنبي الأعادي أكفهم وما حملوا اعتقــالا[84]

قد يلتمس القارئ لهذا البيت إيحاءٍ واضح لقوله تعالى: ((فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ))[85]، فالشاعر يقارب بين بطش الجبارين وبين بطش الممدوح فكلاهما يأخذان عدوهما بلا رحمة أو رأفة، حيث جاء النص الأدبي مخالفا للنص القرآني من حيث المعنى والموضوع والبناء، في حين استند فيه الشاعر على بعض الألفاظ القرآنية كلفظة (يبطش).

يقول أيضاً:

فيوسف يوسف اذ أنت منــه كيامن لا وهي لكمــا نظــام[86]

يبدو أن هذا البيت فيه تلميح لقوله تعالى: ((قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ))[87] حيث وافق الشاعر بين النصين من خلال الموضوع. فالشاعر في حديثه عن ممدوحه يشبهه بيوسف وأخيه بنيامين اللذين مَنّ الله عليهما بفضله وكرمه واجتبى احدهما للنبوة، والآخر جعله مواسيًا لوالده بارا به، مطيعا له، كذلك الممدوح لما فيه من خصال العلم والحلم والكرم والرئاسة، والقوة في الحرب وأمرة وقيادة المسلمين.

ويقول أيضاً:

انــا لنعلم ما يراد بنــا فلــم تعيــا القلوب وتغلـب الأهــواء[88]

يؤكد الشاعر في هذه القصيدة على معاني الموت والفناء بطريقة مؤثرة، إذ يقول إننا نعرف الموت ونعرف إنه سيأتينا لكننا نعيا في هذه الدنيا، وتلهوا قلوبنا ونتبع اهواءنا، وهو يستدعي قوله تعالى: ((وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا))[89]، فيبدو من سياق النص ان الشاعر قد وظف بصورة غير مباشرة هذا النص القرآني ، فقد قارب بينهما عن طريق الموضوع بأسلوب لا يخلو من حسن الصياغة، فغلبة الأهواء هو

ابتلاء من الله لهؤلاء العصاة، وكأن الشاعر يعرف حاله أنّه ميت لا محالة، لكنه في المقابل يلوم نفسه التي يتغلب عليها الهوى وتتداعى عليها الأهواء لتجرها الى وحل المعصية.

ويتحدث الشاعر عن الموت، وما يحدث للنفس عند موتها قائلاً:

ما النفس إلا شعلة سقطت الـــى حيث استقبل بها الثرى والمــاء

حتــى اذا خلصت تعــود كمــا بدت ومن الخلاص مشقة وعنــاء[90]

يتحدث الشاعر عن أصل النفس الإنسانية التي تتكون من شعلة، وهي الروح على ما يبدو بحسب مقصد الشاعر، وتلك الشعلة أو الوهج أو الهبة الإلهية سقطت فاستقرت بين التراب والماء، والتراب والماء أصل التكوين البشري مقتبساً ذلك من قوله تعالى:((مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى))[91] وقوله تعالى:((فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ))[92]، فقد جاء في تفسير الآية إنا خلقناهم من طين لازب أي لاصق، قال ابن عباس. ومنه قول علي عليه السلام: "تعلم فإن الله زادك بسطة (...) وأخلاق خير كلها لك لازب"[93]، ومعروف إن أصل الطين امتزاج الماء والتراب، وهوما قصد إليه الشاعر. حيث اقتبس ابن وهبون من النص القرآني بتقارب المعنى والموضوع مشيرا الى ذلك بطريقة غير مباشرة محاولا التقريب بين الصورتين في توظيفه له.

ويقول ابن وهبون في رثائيته لأبي الحجاج أيضاً:

للــه أي غنيمة غنم الـردى ومن الفجائع غـارة شعـواءُ[94]

فقد اقتبس هذا البيت من قوله تعالى: ((أفأن مَاتَ أو قُتِلَ انقَلَبتم عَلَى أَعقَابِكُم وَمَن يَنقَلِب عَلَى عَقِبيهِ فَلنْ يِضُرَ اللهَ شَيئاً وَسَيَجزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ))[95]، محاولاً تقريب الصورة القرآنية في الآية الكريمة، فهناك توافق بين النصين من حيث الموضوع فالنص القرآني يشير إلى حث الناس إلى التمسك بنبي الرحمة محمد (ص) واتباع دينه[96]، فالشاعر يجعل لمرثيهِ كرامة لها وقع وتأثير في قلوب محبيه، فإن الإنسان مهما غنم من ملذات الدنيا وفاز فيها، لابد أن يغنم منها بالفجائع الكثيرة، والتي منها فقد الأحبة.

وقال أيضاً في مدحه للرشيد بن المعتمد: (من البسيط)

بذلك الوجه تجلى كل غاشية عن ناظر بوجوه اللوم محصب[97]

إن مفردة الغاشية التي أوردها الشاعر في هذا البيت، هي من المفردات القرآنية ذات الدلالة القوية، والثابتة، بل وقد وسميت سورة قرآنية كاملة باسمها في الكتاب المقدس، فقد ذكرها جل جلاله بقوله: ((أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ))[98]، والشاعر يقصد بها المديح فيجعل وجهه جلاء لكل

غاشية تغشى البلاد والعباد، وهي من المبالغات الكثيرة التي يوردها في مدائحه، فعلى هذا الأساس يمكن عدها قرآنية مباشرة، ولكن عندما أمعن الباحث النظر في النص، وجد أن الصورة غير المباشرة هي التي تحقق مبتغى الشاعر فلذلك عمد الشاعر على ايرادها في بيته الشعري.

ويقول ايضاً :

لو إن لقمان يعطى عمرها بك لم. يخن عليها الذي اخنى على لبـــد[99]

قد استدعى الشاعر في هذا البيت شخصية استوحاها من القرآن الكريم إلا وهي شخصية لقمان عليه السلام الحكيم الذي ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم وجعل له سورة باسمه، وجاء فيها، قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ))[100]، أي لو إن الله اعطى عمرا طويلا للقمان لحدث له ما حدث للنابغة في قوله 'اخنى عليه الذي اخنى على لبد" (أخنى: أي أهلك، ولبد: آخر نسور لقمان)[101]، اي إن لقمان لو عاش ما عاشت نسوره كلها لمات ايضا شأنه شأن اي حي في هذه الدنيا مصيره الزوال والانتهاء، فيبدو مما تقدم أن الشاعر قد خالف بالمعنى والموضوع والبناء بين البيت الشعري والنص القرآني في حين استند لبعض الألفاظ القرآنية في صياغة نصه الأدبي.

وقال يصف قصر المعتمد: (من الوافر)

تألـق وجهـه وزكـت نهـــاه فقلـت مثالـــه محـق الضلالا[102]

في هذا البيت تلميح لقوله تعالى: ((وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ))[103]، "فالتمحيص: هو التنْقيص، يقال: محص الله عنك ذنوبك، أَي نقصها، فسمى الله ما أَصاب المسلمِين من بلاءٍ تمحيصاً؛ لأَنه ينقص به ذنوبهم، وسماه الله من الكافرين محقاً"[104]، ولذلك يبتلي الله المؤمنين ليفرق بين هؤلاء الذين يثبتون على الحق مخلصين لله جل جلاله ولا تزيغهم عنه النوائب، وبين من يخرج منهم عن طاعة الله سبحانه، اعتراضا على حكمته فيضل طريقه.

فالشاعر يستعير هذا المعنى من القرآن الكريم ويسيق عليه بيته الشعري فيقول بأن الممدوح (المعتمد)، له طريقٌ مليءٌ بالمعارك والابتلاءات للدفاع عن الدين، فكل من يقترب منه يرى ما يراه من ابتلاءات، تظهر على وجهه الذي يصفه الشاعر بأنه متألق، وخلقه بين الناس ومعاملته لهم بالإحسان، فالشاعر حاول بأسلوب جميل من الاستناد على النص القرآني من حيث المعنى الذي وظفه ببراعة في قصيدتهِ.

الخاتمة

إن القرآنية كمصطلح حديث زخرت به الدراسات والابحاث العربية على وجه الخصوص، والإسلامية منها أدت لملاحقة هذا الحضور المتجلي في الشعر العربي ما بعد الإسلام، ومنها الشعر الأندلسي، فالقرآن بصفته النص

الديني الأعلى في العربية والذي لا يدانيه في البلاغة مدانٍ أصبح ملهماً للشعراء في قصائدهم وهذا واضح في شعر ابن وهبون ولا سيما في قصيدته الرثائية التي جسد فيها معاني الموت والفناء، معتمدا على الألفاظ التي تدل على القرآنية المباشرة تارة، وتوحي الى القرآنية غير المباشرة تارة أخرى، وذلك لتوشية الأبيات بالمفردات القرآنية ذات الطاقة الدلالية المعبرة، وفي أغلب قصائد الشاعر تحضر القرآنية غير المباشرة كاشفة عن معاني عميقة قد ترتبط بالموضوع الذي يقصده الشاعر فتصبح جزءاً من بناء النص، أو قد تختلف من حيث الدلالة فتوظف في الشعر توظيفاً مغايراً لورودها في القرآن الكريم فتنعكس دلالتها السلبية للإيجاب وبالعكس.

الهوامش: :

1 – الذخيرة، ج2، م1: 478 – 485، ويُنظر أيضاً: شعر عبدالجليل بن وهبون (جمع ودراسة): 6.
2- المطرب: 118.
3- الذخيرة: 479/1/21.
4- الذخيرة: 474/1/2.
5- القصيدة ابن وهبون المرسي الهمزية، د. صفاء حسين لطيف / د. مسلم مالك الأسدي،:4.
6- الذخيرة: 475/1/2.
7- شعر ابن وهبون: 151.
8- الذخيرة: 473/1/20 – 474.
9- المطرب: 118.
10- قلائد العقيان: 767/3.
11- بغية الملتمس: 387.
12- المعجب: 159.
13- الخريدة: 96/2.
14- شعراء أندلسيون:62، وينظر: الشاعر وشعره:115.
15 – سورة البقرة:151.
16 – ينظر: الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، عبد الله خضر حمد، ج3 / 377.
17 – شعراء أندلسيون:62، وينظر: الشاعر وشعره:116.
18 – سورة ق: 22.
19- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، تحقيق: مصطفى حسين احمد، دار الريان، القاهرة، 1947م، ج4/ 386.
20 – الشاعر وشعره: 137.
21 – سورة الصافات: 6.
22 – سورة الحج: 27.
23 – سورة الرعد: 20.

24 – شعراء اندلسيون:62، وينظر: الشاعر وشعره 116.

25 – سورة الزلزلة: 6 .

26 – جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ت، ج24،: 549.

27 – شعراء اندلسيون:62، وينظر: الشاعر وشعره 117.

28 – سورة النساء: 43.

29 – شعراء اندلسيون:64، وينظر: الشاعر وشعره 128.

30 – سورة الأنعام: 41–42.

31 – سورة الأنبياء: 107.

32 – شعراء اندلسيون:66، وينظر: الشاعر وشعره: 132.

33 – سورة البقرة: 183.

34 – شعراء اندلسيون:69، وينظر: الشاعر وشعره: 135.

35 – سورة البقرة:125.

36 – شعراء اندلسيون:69، وينظر: الشاعر وشعره: 140.

37 – سورة النور: 39.

38 – شعراء اندلسيون:75، وينظر: الشاعر وشعره: 161.

39 – سورة الفلق: 4.

40 – فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (ت1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط1، 1356هـ، ج3/ 110.

41 – شعراء اندلسيون:75، وينظر: الشاعر وشعره: 161.

42 – سورة الفجر: 4.

43 – شعراء اندلسيون:78، وينظر: الشاعر وشعره:170.

44 – سورة الانفال: 22.

45 – شعراء اندلسيون:79، وينظر: الشاعر وشعره: 172.

46 – سورة المدثر: 27– 28.

47 – شعراء اندلسيون: 69، الشاعر وشعره: 139.

48 – سورة مريم: 25.

49 – ينظر: التكملة والذيل والصلة، الحسن بن محمد الصغاني، مطبعة دار الكتب – القاهرة، مادة فلذ، ج2 / 386.

50– شعراء اندلسيون: 64، وينظر: الشاعر وشعره: 121.

51 – سورة التكوير:17.

52 – شعراء اندلسيون: 67، وينظر: الشاعر وشعره: 123.

53 – سورة الفرقان: 72.

54 – زهرة التفاسير: محمد بن احمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، ج10 / 5321

55 – شعراء اندلسيون: 67، وينظر: الشاعر وشعره: 124.

56– سورة يونس: 5.

57 – شعراء اندلسيون: 67، وينظر: الشاعر وشعره: 124.

58 – سورة يوسف: 88.

59 – سورة الرحمن: 60.

60 – سورة الواقعة: 24.

61 – الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، دار احياء التراث العربي– بيروت،ط1، 1997م، ج5 / 355.

62 – شعراء اندلسيون: 64، وينظر: الشاعر وشعره: 127.

63 – سورة ص: 31.

64 – معاني القرآن، ابو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة ام القرى – مكة المكرمة، ط1، 1409هـ، ج6 / 108.

65 – شعراء اندلسيون: 70، الشاعر وشعره: 143.

66 – سورة البقرة: 144.

67 – شعراء اندلسيون: 72، الشاعر وشعره: 150.

68 – سورة ص: 36.

69 – شعراء اندلسيون: 73، الشاعر وشعره: 154.

70 – سورة التين: 4.

71– شعراء اندلسيون: 75، الشاعر وشعره: 160.

72 – سورة مريم: 4.

73– تفسير القرطبي: شمس الدين القرطبي، ج11/ 77.

74 – شعراء اندلسيون: 79، الشاعر وشعره: 174.

75 – سورة الإسراء: 60.

76 – شعراء اندلسيون: 79، الشاعر وشعره: 175.

77 – سورة الأعراف: 128.

78 – سورة البقرة: 35.

79 – الشاعر وشعره: 178.

80 – سورة آل عمران: 47.

81 – شعراء اندلسيون: 84، الشاعر وشعره: 192.

82 – سورة لقمان: 18.

83 – كتاب الكبائر: شمس الدين الذهبي، دار الفكر – بيروت،: 77.

84 – شعراء اندلسيون: 85، الشاعر وشعره: 196.

85 – سورة القصص: 19.

86 – شعراء اندلسيون: 90، الشاعر وشعره: 211.

87 – سورة يوسف: 90.

88 – شعراء اندلسيون:61، وينظر: الشاعر وشعره 112.

89 – سورة الكهف: 28.

90 – شعراء اندلسيون: 61، وينظر: الشاعر وشعره: 113.

91 – سورة طـه: 55.

92 – سورة الصافات: 11.

93 – الجامع لأحكام القرآن: شمس الدين القرطبي، تحقيق: احمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م، ج15/ 68.

94 – شعراء اندلسيون: 61، وينظر: الشاعر وشعره: 114.

95 – سورة آل عمران: 144.

96 – الموسوعة القرآنية، ابراهيم اسماعيل الأنباري، مؤسسة سجل العرب، ج9 / 263.

97 شعراء اندلسيون: 70، وينظر: الشاعر وشعره: 143.

98 – سورة يوسف: 107.

99 – شعراء اندلسيون: 76، وينظر: الشاعر وشعره: 163.

100 – سورة لقمان: 12.

101 – مجمع الأمثال: احمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار المعرفة، بيروت،: 243.

102 – شعراء اندلسيون: 85 ، الشاعر وشعره:196.

103 – سورة آل عمران: 141.

104 – تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني، وزارة الارشاد والانباء في الكويت، 2001م، ج18 /156.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، لأبن بسام الشنتريني(ت542هـ)، تح: د. احسان عباس، دار الثقافة بيروت،م1، 1997م.

2- بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، احمد بن يحيى الضبي(ت599هـ)، دار الكتب العربي، 1967م.

3- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي،تح: د. محمد زينهم محمد، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م.

4- خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الاصفهاني، تح: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية – دمشق، 1959م.

5- المطرب من اشعار اهل المغرب، لأبن دحية(ت633هـ)،المطبعة الاميرية – القاهرة، 1954م.

6- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني، وزارة الارشاد والانباء في الكويت، 2001م

7- التكملة والذيل والصلة، الحسن بن محمد الصغاني، مطبعة دار الكتب – القاهرة. دت.

8- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ت.

9- الجامع لأحكام القرآن: شمس الدين القرطبي، تحقيق: احمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
10- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، دار احياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1997م.
11- شعراء أندلسيون، د. محمود محمد العامودي، مطبعة المقداد غزة ط1 2010م:
12- شعر ابن وهبون المرسي، رسالة ماجستير، سمر صبحي أحمد، أشراف د. منجد مصطفى بهجت، جامعة الموصل 1989م
13- عبد الجليل بن وهبون الشاعر وشعره رسالة ماجستير، سعيد أحمد محمد الغامدي، أشراف د. حسن عبد الكريم، جامعة أم القرى، السعودية 1999م:
14- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، لأبن خاقان، تحقيق د. حسين يوسف خربوش جامعة اليرموك كلية الآداب، ط1 1989م
15- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، تحقيق: مصطفى حسين احمد، دار الريان، القاهرة، 1947م.
16- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (ت1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط1، 1356هـ.
17- مجمع الأمثال: احمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار المعرفة، بيروت
18- معاني القرآن، ابو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة ام القرى – مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.
19- الموسوعة القرآنية، ابراهيم اسماعيل الأنباري، مؤسسة سجل العرب. د.ت
20- القصيدة ابن وهبون المرسي الهمزية، د. صفاء حسين لطيف / د. مسلم مالك الأسدي،:4.